مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٨ ص ص: ٢٢٧- ٢٤٦ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-8.8

وصف الأطلال في الشعر العباسي قصيدة " سلام عليكم " أنموذجا (دراسة نقدية)

د. حمدة بنت مشارك الرويلي
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية تخصص أدب قديم
جامعة الحدود الشمالية-كلية التربية والآداب
قسم اللغة العربية

مستخلص. أجاد البحتري في الفنون الشعرية المتنوعة في العصر العباسي لا سيما فن الوصف، الذي ظهرت براعته وقدرته فيه أكثر من بقية الفنون، فقد كان من أشهر شعراء الوصف لا سيما في وصف الطبيعة التي عشقها وحاول توظيفها في أغراضه الشعرية المختلفة، لذلك وقع اختياري في هذه الدراسة على قصيدة "سلام عليكم" التي تمثل جانب من هذه الطبيعة، بهدف إلقاء الضوء على نص يعد من النصوص التي تضمنت مشهدا من مشاهد صراع البحتري مع الذئب، إذ تحاول هذه الدراسة الوقوف على السمات الفنية في النص الشعري وكيفية التعامل معه عن طريق الدراسة النقدية والكشف عن عمق الدلالات اللغوية وسبر أغوار هذا النص الشعري الذي يحمل دلالات ومعان عميقة.

الكلمات المفتاحية: سلام عليكم–المقدمة الطللية–ملامح التجديد–وصف الطبيعة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

تقوم فكرة هذا الموضوع على تحليل النص الشعري من خلال تحريك التراكم المعرفي وإثارة التساؤلات؛ لأن صياغة النص تتأسس على بنية فهمه القائمة بدورها على متغيرات الدراسة التي تزيح ثوابته وتكشف مكنوناته، ومن هنا يتراءى التأويل شرطا لإضاءة نصوص الأطلال في الشعر العباسي ويتضح ذلك من خلال ما جاء في قصيدة البحتري التي مطلعها: "سلامُ عَليكُم"، كما لابد لنا من الوقوف

على موقف الشاعر العباسي متمثلا في ذلك الأنموذج، وكيف هي ملامح التجديد لديه نسبة إلى الشاعر الجاهلي صاحب الابتداع الأول للمقدمة الطللية الممهدة للدخول في غرضه الشعري، وكيف كانت ملامح التجديد وتجلياته لدى البحتري في الأسلوب والدلالة، كما يعوزنا في هذا المقام اللجوء إلى منهج الموازنة بين كل من المقدمة الطللية لدى الشاعر الجاهلي، والشاعر العباسي، وذلك من خلال تبني قوانين تحليل الخطاب التي تتعامل مع النص الشعري بوصفه بنية لسانية وفكرية، تحيلنا إلى مرجعيات ثقافية؛ لتكشف من خلال ذلك كله الحمولات الدلالية، التي تساعد على استنطاق النص الشعري ذاته، وإفساح أكبر مساحة من التحليل؛ لأجل الدخول إلى المقدمات الطللية للعصر العباسي من خلال أنموذج البحتري، وذلك للوقوف على السمات الأسلوبية لهذا الفن الشعري.

الدراسات السابقة:

-غالب، طاهر سيف، ونافع محمود خلف." الوصف بين البحتري وابن خفاجة: دراسة موازنة" رسالة ماجستير. جامعة بغداد، ٢٠٠٢م.

-ضيف، عبد الستار محمد." جديد المقدمة الطللية في العصر العباسي" جذور- النادي الأدبي الثقافي بجدة- السعودية مج ٨،ج١٨، ٢٠٠٤م.

-العدوان، أحمد إبراهيم، وعمرو رفيق صابر." ذئب الفرزدق وذئب البحتري بين التقليد والإبداع" المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها – الأردن مج ١٢، ع٤، ٢٠١٦م.

يتمثل هيكل الدراسة بالمحاور التالية:

١- دور وصف الأطلال في الشعر العربي القديم، ومكانة البحتري عند النقاد.

٢- اتجاهات البحتري في شعره من خلال قصيدة " سلام عليكم".

٣- صورة الذئب بين البحتري والمرقش الأكبر وعلاقتها بالأطلال.

٤- ملامح التجديد في المقدمة الطللية لدى البحتري.

وأخيرا الحمد لله رب العالمين.

أولا: دور وصف الأطلال في الشعر العربي القديم، ومكانة البحتري عند النقاد:

برزت ملامح المقدمة الطللية في القصيدة عند الشعراء الجاهليين منذ القدم، فقد استهلوا قصائدهم بالوقوف على الأطلال، وذكر الديار والدمن المتبقية من آثار ديار المحبوبة، ومن الصور التي تتردد في المقدمة الطللية أن يبدأ الشاعر الجاهلي قصيدته بذكر الديار التي عفت أو درست ولم يتبق منها إلا الآثار المتهالكة.

وقصيدة البحتري "سلام عليكم لا وفاء ولا عهد" تعد بشكل أو آخر استمرارا لتلك القصائد الجاهلية التي تتعدد الموضوعات فيها، وتتنوع عناصرها، فعنصر الأطلال يسير في القصيدة على نهج القصيدة الجاهلية، ويرتبط بالغزل والمرأة والوصف، والقصيدة

التي بين أيدينا جاءت في "وصف الذئب"، مما جعل الكثير من النقاد يتهم مثل هذه القصائد بالتفكك وعدم التألف بين الأجزاء، فالدكتور شوقي ضيف يرى أن القصيدة تتكون" من الأبيات أو البيوت المستقلة التي يكتفي فيها كل بيت غالبا بنفسه، غير متوقف على ما يسبقه ولا على ما يلحقه إلا نادرا، وربما كان هذا هو السبب الحقيقي في أن القصيدة الطويلة لا تلم بموضوع واحد يرتبط به الشاعر، بل تجمع طائفة من الموضوعات والعواطف لا تظهر بينها صلة ولا رابطة واضحة، وكأنها مجموعة من الخواطر يجمع بينها الوزن والقافية، وتلك هي كل روابطها، أما بعد ذلك فهي مفككة، لأن صاحبها لا يطيل المكث عند عاطفة بعينها أو عند موضوع بعينه" [1]

فها هو الشاعر زهير بن أبي سلمى يذكر الديار في مطلع إحدى قصائده وما حل فيها من دمار قد تسبب في إثارة دهشته وحيرته، من خلال سؤال يبدأه بالاستفهام الانكاري الذي يشير إلى جهله بتلك الديار، ثم يجيب على نفسه فيقول:

لِمَنِ الدِّيــارُ بِقُــــــنَّةِ الحُجْرِ ... أقوَيْنَ مِنْ حُـــــجَـــجٍ ومِنْ دَهْــــرِ [2]

ونجده أيضا في مقدمة بعض قصائده يتجه إلى الغزل البدوي القح، فيبدأ أبياته الغزلية الرمزية ببكاء الأطلال، فيذكر اسم المحبوبة، والرسوم الدارسة لتلك الأماكن، والحيوانات التي تعيش في تلك الديار، ويبدأ بالتعرف عليها بعد جهد وعناء فيلقي عليها التحية، وكأن هذه التحية موجهة إلى محبوبته التي جاءت رمزا للدلالة على الوفاء بالعهود بين القبائل المتحاربة عندما تصالحوا، وهذا رمز جيد يلخص الحالة النفسية للشاعر المطمئنة نتيجة هذا الوفاء الذي كان سببا في استمرار تلك الحياة، فجاءت الرموز أغلبها لإضفاء الحياة والاستمرارية على الطلل فيقول في مطلعها:

أمِنْ أُمِّ أوفَـــى دِمْنةٌ لَمْ تَـــكلَّمِ ... بِـــــحومانـةِ الدرَّاجِ فالمتـــثلَّمِ

بِها العيْنُ والآرامُ يَمشـــيْنَ خلفة ... وأطـلاؤها يَنْهضْنَ من كلِّ مَجْثَم [3]

يظهر أمامنا في البيتين السابقين مجموعة من الصور لذلك الطلل "وهي ترتبط بحالة تذكر يعيشها الشاعر، والمكان هنا أصبح معزولاً عن شرطه الإنساني، ذلك أنه لم يعد سوى بقايا آثار لم تدرس بعد بشكل كلي، ولكن أهميتها تأتي بما تثيره لدى الشاعر ثم لدى المتلقي من ذكرى إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدريج لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القراء [4]".

كما ذكر عبيد بن الأبرص الديار الدارسة، والأمكنة المقفرة، فوقف عند الأطلال وبكاها وحزن على ما تبقى منها بصدق فنقل لنا تجربة صادقة تعبر عن واقع حقيقي لتلك الحياة التي يعيشها، فهذه الوقفة

---

[1] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة ، ط٢٢، ١٩٦٠م ، ص ٢٢٤.

[2] زهير بن أبي سلمى، الديوان ، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م. ص٥٤.

[3] زهير بن أبي سلمى، الديوان ، ص١٠٢.

[4] عبد الله رضوان، البنى الشعرية دراسات تطبيقية في الشعر العربي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م، ص١٩٢.

الطللية التي تستهل فيها القصائد ماهي إلا رموزا تعبر تعبيرا صادقا عن واقع حقيقي ولا تكاد تخلو منها قصيدة من قصائد الشعر القديم، فها هو عبيد بن الأبرص يجسد لنا بصدق ذلك الواقع فيقول:

لِمَنِ الدِّيارُ بِصاحةٍ فَحروسِ دَرَسَتْ مِنَ الإقفارِ أيَّ دروسِ[١]

ومن الشعراء الذين بكوا الديار وسفحت دموعهم عندما وقفوا بتلك الأطلال، النابغة الذبياني الذي كان للوقفة الطللية في أبياته أثر نفسي عميق يجسد حزنه الشديد وألمه بسبب رحيل أحبته، وتبدل أحوال تلك الديار فيقولِ:

وقفْتُ بِها القلوصَ على اكتئابٍ وذاكَ تفارُطُ الشوقِ المُعنِّي

أُسائِلُها وقد سُفِحتْ دموعِي كأنَّ مفيضَهُنَّ غروبُ شَنِّ[٢]

ونراه أيضا في صورة أخرى يعبر عن إحساسه الصادق وحزنه الشديد في وقت الغروب، فيسأل الديار عن أهلها بحسرةِ وألم خاصة أنها لم تجيب على ذلك السؤال، ثم يعترف بعدم وجود أحد حتى يجيبه، فرسم لنا صورة صادقة لذلك الواقع الذي كان يعيش فيه، ويتخذ من هذه المقدمة ستارا؛ ليعبر عما يختلج في نفسه من آثار نفسية بسبب غضب الملك نعمان عليه فيقول :

وقفْتُ فيْها أُصيلاناً أُسائِلُها عيَّتْ جواباً وما بالربعِ من أحدِ؟[٣]

وهناك من يبدأ قصيدته الطللية بمناجاة أصحابه؛ ليستدعي معهم تلك الذكريات، وليشاركوه في ذلك المصاب كقولِ امرِئِ القيسِ:

قِفا نبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفتْ آياتُهُ منذُ أزمانِ[٤]

وشاعرنا البحتري هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله يحيى بن عبيد ابن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خشيم، طائي الأب شيباني الأم، ولد سنة ٢٠٤هـ، إلى الشمال الشرقي من حلب على الطريق المؤدية إلى الفرات، وقد غلب عليه لقب البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية "بحتر"[٥]، وتوفي سنة ٢٨٤هـ[٦]، وشاعرنا يمثل البادية والحاضرة معا: "فهو ابن البادية ولد وترعرع في كنفها، فمنحته خصائصها، وزودته بطبائعها، ورفدته بتقاليدها وغذته بمأثورها، وأكسبته فصاحتها"[٧].

وقد قيل فيه: "شاعر البداوة والحضارة، ورجل النقل والتأمل، ورجل البناء الوصفي الفني، ورجل الصناعة البديعة الجميلة، وكان أخيرا شاعر الغنة الساحرة، الذي أراد أن يشعر فغنى"[٨].

أما قصيدة "سلام عليكم" فقد وصفت بأنها من أروع القصائد في وصف الحياة إذ قيل عنها: "إنها صورة رائعة من صور الصراع النفسي من أجل الحياة استطاع فيها البحتري على رغم حداثة سنه حين قال هذه القصيدة أن يوفق بين تنسيق أجزائها، واستطاع

[١] عبيد بن الأبرص، الديون ، تحقيق حسين نصار ، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر ، ١٩٥٧م، ص ٦٧.

[٢] النابغة الذبياني، الديوان ، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م ، ص ٩٩

[٣] المرجع السابق، ص٩.

[٤] امرؤ القيس ، الديوان ، طبعه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط٥، ٢٠٠٤م ، ص١٦٣.

[٥] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨، مجلد ٥ ، ص ١٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٥١، ج١٨ ، ص ١٦٧

[٦] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار المأمون ، القاهرة ، ج١٩ ، ص ٢٤٨.

[٧] هاشم صالح مناع ، أعلام الفكر العربي ، البحتري حياته وشعره ، دار الفكر العربي ، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢، ص ٢٥.

[٨] حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٢، ج ٢ ، ص ٣٧١.

كذلك أن يعبر عن أحاسيسه الباطنية بما يكشف عن نزعته الفنية التي أخذت في النمو بعد ذلك"[١].

كما قيل عن قصيدته: " إن روعة هذه المقطوعة تكمن في طرافــتها،

لقلة من حذا حذوها من الشعراء، وتتجلى المقدرة على الوصف فيها من تناول الحركة والانفعالات التي تتبعها بالتفصيل حتى كأن الشاعر فيها رسام والكلمات في فمه ريشته وألوانه المعبرة، كما أنه كان موفقا أيما توفيق في انتقاء الألفاظ التي تتناسب وموضوع القصيدة وتخدم ما رمى إليه من معان بكل جلاء ووضوح متجنبا التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام وغريب الاستعارات، كما تجلت مقدرته في اختياره لحروف الألفاظ فجاءت أصواتها ملائمة للمواقف التي تعرضت لها أبيات المقطوعة"[٢]. التي تكشف عن العلاقة الممتدة بين الشاعر وهذا العالم العدواني المتوحش من خلال وصفه للأطلال.

وكان أغلب النقاد يؤثرون طريقة البحتري التي لم تخرج عن (عمود الشعر) المنسوب إلى الأوائل، وقد صرح الآمدي بذلك فقال: "والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف، وإنما يكون الفضل عندهم في الإلمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل، مع جودة السبك وقرب المأتى، والقول في هذا قولهم، وإليه أذهب"[٣]، والبحتري كما يرى الآمدي صاحب ذوق محافظ تقليدي يميل إلى أشعار القدماء.

ثانيا: اتجاهات البحتري في شعره من خلال قصيدة "سلام عليكم":-

جاءت هذه القصيدة في أربعة مواضيع وهي: الوقوف على أطلال المحبوبة، الفخر، معركته مع الذئب وخلاصة تجربته في الحياة، والغرض الأساسي من هذه القصيدة يتمثل في وصف الذئب، وقد وضح الدكتور زكريا النوتي أقسام القصيدة بقوله: "هذه القصيدة تتألف من عدة أقسام: غزل، فخر، وصف الذئب، مذهبه في الحياة، والموضوع الأساسي في القصيدة هو الذئب، الذئاب البشرية والذئب الوحشي، فالشاعر قدم لقصيدته بنسيب والنسيب له علاقة قوية بسائر أبيات القصـيدة، إنه نسيب حزين بائس"[٤].

وتتشكل القصيدة موضوع الدراسة من ثلاثة مقاطع هي: المقطع الأول الذي يصف فيه الشاعر محبوبته ويتمثل في الأبيات (١-٦)، والمقطع الثاني الذي يتحدث عن شجاعته وقوته وجرأته والفخر بنفسه ويتمثل في الأبيات (٧- ١٥)، والمقطع الثالث الذي يصف مشهد الذئب والصراع الذي دار بينهما ويتمثل

---

[١] أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، أخبار البحتري ، تحقيق : صالح الأشتر ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٦٤، ص ٥٥.

[٢] يوسف الحشكي ، الوصف في شعر البحتري بين الواقع والخيال ، موقع محمد العريفي ، منتدى واحة الأدب ، http://www.3refe.com/vb/showthread.php?t=104064 ، ٣٠-١٠-٢٠١٠، تاريخ الدخول : ١٠-١١-٢٠١٨.

[٣] انظر: الآمدي، الموازنة بين الطائيين، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، ذخائر العرب، ١٩٦٥م،ص ٤٠١/١-٤٠٢.

[٤] زكريا عبد المجيد النوتي ، الذئب في الأدب القديم ، دار ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤، ص ١٢٠.

في الأبيات (١٦-٤١)، وهو أيضا يجسد تجربة البحتري الفنية.

يقول البحتري في المقطع الأول:

سلام عليكم ، لا وفاء ولا عـهـد أما لكم مـــن هجر أحبابكم بـد

أحبابنا قد أنـــجز البين وعـــده وشيكا ولم ينجز لنا منكم وعد [١]

فالشاعر يتحدث عن مشاعره وإحساسه بالحرقة والأسى على فراق المحبوبة، ولكنه لا يزال يحمل في قلبه الشعور بالأمل في تراجع المحبوبة عن الهجر والفراق، فهو يعاني من الحزن الشديد بسبب فقدان المحبوبة، وما زال متعلقا بأمل تراجعها عن الفراق و الهجر.

والمرأة التي جاءت في مقدمة البحتري الطللية والتي أحبها بشدة هي علوة التـــي

تحدث عنها شوقي ضيف بقوله: "إذ نراه ينزل حلب، وهناك تعرف على علوة بنت زريفة التي شغفته حبا، ويبدو أن علوة كانت مغنية، وتعرف أيضا على صديق يسمى الذفافي مدحه ببعض شعره، وهجاه فيما بعد لاقترانه بعلوة، وظلت ذكراها لا تبرح ذاكرة البحتري حتى الأنفاس الأخيرة من حياته" [٢]

يتابع البحتري التعبير عن شوقه وأمله في عودة المحبوبة إذ يقول:

أأطــلال دار العامــــرية باللوى سقت ربعك الأنواء، ما فعلت هند

أدار اللوى بين الصريمة والحمى أما للهوى إلا رسيس الجو قصد ؟

بنفسي من عذبـــت نفسي بحبه وإن لـم يكن منــــه وصـال ولا ود

حبيب من الأحباب شطت به النوى وأي حبيب ما أتى دونــــه البعـــد

يلاحظ بأن البحتري وقف على أطلال المحبوبة (علوة) يبث إليها معاناته كما

وقف شعراء العصر الجاهلي، فهو" يقف بدار العامرية، وهي أطلال دار المحبوبة، حيث الانقطاع والهجر، ذاكرا الربع والأنواء، ودار اللوى، كأنه قائم في الصحراء "[٣].

وهذه الأبيات تعمق تجربة البحتري وقد استحضر المكان وتفاصيله من خلال همزة النداء (أأطلال، أدار)، وهذا النمط من النداء للأطلال هو من الحب العفيف الذي كان في العصر الأموي، وكأنه يستحضر الموروث العربي القديم الذي يتكرر فيه هذا الحب الطاهر.

يعبر البحتري في هذه الأبيات عن إحساسه باليأس والإحباط وقد استخدم الهمزة لنداء المحبوبة التي لا تغيب عن باله، ويوجه الخطاب إلى أطلال العامرية فهو يحاول نقل معاناته وبث أحزانه وآلامه، إذ يرمز في ذلك إلى مكان الأحبة الذي أصبح مهجورا وتحول إلى أطلال وبقايا ذكرى عالقة في ذهن الشاعر.

كما يحدد الشاعر الديار المفتقدة وهي (الصريمة، والحمى) وقد لازم وصف الأطلال وصف المحبوبة

[١] البحتري ، ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٢، ج١ ، ص ٧٤٠.

[٢] شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٠ ، ١٩٩٦ ، ص ٢٧١.

[٣] خلف الوقيان ، شعر البحتري دراسة فنية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥، ص ٣٢١.

التي صدت الشاعر ولم ترحم معاناته وحرمانه منها، كما أن هذه المحبوبة تـبتعد عن الشاعر وتحاول صـــده فهي تتسم بالمـنعة وقد قـطعت
وسيلة الاتصال به، فالشاعر يشكو الصد والهجران وانقطاع الاتصال بمحبوبته، ولعل البيت الأخير يصور لنا تجربة الشاعر مع الحب، كما أنه يعكس النظرة التشاؤمية للشاعر فهو يقر بأن كل حبيب لابد أن يعاني من ألم البعد والانفصال عن أحبته.
يلاحظ بأن الشاعر في هذه الأبيات استخدم المحاور الدلالية والتركيبية والصوتية، ومن الناحية الصوتية اختار البحتري الأصوات التي تتناسب مع النص الشعري من حيث الشدة والجهر، فقد استخدم حرف اللام الذي تكرر في البيت الأول من القصيدة خمس مرات، وتكرر في البيت الثاني ثلاث مرات، أما حرف الميم تكرر في البيت الأول خمس مرات، وفي البيت الثاني تكرر مرتين، في حين تكرر حرف الباء في البيتين الأول والثاني ست مرات، إذ يلاحظ بأن البحتري استخدم أحرف الشدة وأحرف الجهر للتعبير عن قوته وإظهارها في المواقف التي تتطلب ذلك.
وعلى المستوى التركيبي استخدم البحتري الهمزة في قوله: "أما لكم" في التعبير عن أمله في عودة المحبوبة وتراجعها عن الهجر والفراق، وقد انزاحت الهمزة عن معناها الأصلي في هذا البيت إذ يقول الهاشمي: " وقد انزاحت همزة الاستفهام في هذا البيت عن وضعها الأصلي الذي هو طلب التصور أو التصديق "[١] إلى العتاب
واللوم الذي يقصد به الأمل في عودة المحبوبة والتراجع عن قرارها في البعد.
أما البيت الثالث فقد استخدم البحتري الأسلوب الإنشائي وهو النداء في قوله: "أطلال دار العامرية" وهنا قد خرج النداء عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو عتاب المحبوبة ولومها على الهجر، كما استخدم الشاعر الأطلال للرمز على مكانة المحبوبة وفي الوقت ذاته للتعبير على تجرد الحياة من هذا المكان، كما استخدم الشاعر أسلوب التشخيص في هذا البيت، والتشخيص هو: " الذي يتم بخلع الصفات الإنسانية على كل من المحسوسات والماديات، أي بخلع صفات الأشخاص عليها " [٢].
فقد وجه الخطاب لأطلال دار العامرية وكأنها إنسان يخاطبه ويلومه ويعاتبه، وقد رصد هذا الأسلوب نفسية البحتري حين بدت انفعالاته واضحة وصادقة وهو هنا أسبغ الحياة الإنسانية على بقايا ديار العامرية.
كما استخدم الشاعر الاستفهام بقوله: "ما فعلت هند؟ " فهو يتمسك بمحبوبته ويسأل عنها إذ يقول ما هو مصير هند؟

[١] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ص ٦١.
[٢] صالح أبو إصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨حتى عام ١٩٧٥، دراسة نقدية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩، ص ٤٤.

كما يعود الشاعر البحتري إلى استخدام همزة الاستفهام في الحديث عن معاناته وإصرار المحبوبة على تعذيبه بالهجر والفراق، لقد لجأ الشاعر إلى المزاوجة بين أسلوب النداء والاستفهام فهو يتحول من أسلوب إلى آخر في أجزاء النص وهذا يدل

على حالة القلق التي يعيشها الشاعر بسبب هجران المحبوبة له.

ينتقل البحتري بعد ذلك إلى التعبير عن الفخر والحديث عن ثقته بنفسه في المقطع الثاني فيقول:

إذا جـزت صـــــحراء الغـوير مغربا وجازتك بطحاء السواجـير يا سعـد

فـــقل لبني الضحـــاك مهلا، فإنني أنا الأفـــعوان الصل والضيــغم الورد

متى هجتموه لا تهيجوا سوى الردى وإن كان خـرقا ما يحـل له عـقد[1]

في هذه الأبيات يوجه الشاعر حديثه إلى شخص يدعى "سعد" وهو الرسول الذي يبعث برسائل البحتري إلى خصومه من أقاربه، إذ يطلب منه أن يقطع المسافات وهي مسافات بعيدة ممتدة للوصول إلى صحراء السواجير؛ لتبليغ رسالته إلى بني الضحاك، وقد وضح في هذا البيت طبيعة العلاقة بينه وبين أقاربه من بني الضحاك ومن ثم يفتخر بنفسه بأنه الأفعوان – ذكر الأفعى- وهو أيضا الضيغم و الأسد الواسع الشدق كما أنه في العزيمة كالسيف الحاد القاطع وهذه الصفات يتسم بها لشجاعته وهيبته وإقدامه، ثم يهدد قومه بالموت عند الغضب، فلا يستغربوا مما يرونه من البحتري من صفات وأخلاق كالسماحة والهدوء، فهو يطلب من قومه عدم الأغرار بصفاته وأخلاقه الرائعة، فهو لا يمتلك نفسه عند الغضب، ويتضح ذلك في

قوله : (وإن كان خرقا ما يحل له عقد).

استخدم البحتري الأسلوب الإنشائي الطلبي ومن ذلك استخدم صيغة الأمر بقوله: " فقل" فقد كشف فعل الأمر عن علاقة الشاعر بأقاربه وهي علاقة يشوبها التوتر والحقد، كما استخدم الشاعر التشخيص وذلك باستدعاء المكان وهو "بطحاء السواجير" فقد أكسب الصحراء صفة الحياة، كما أن الفعل (جاز) دل على البعد المكاني إضافة إلى البعد الزمني والمسافة التي تستغرقها للوصول إليها، كما دلت على البعد المعنوي الذي يدل على طبيعة العلاقة التي تجمع بين البحتري وأقاربه من بني الضحاك.

كان لبيئة الصحراء وطبيـعتها القاسية دورا كبيرا في سلوك البحـتري ومشاعره و أفكاره وقد جسد ذلك علاقته بأقاربه وانعكس ذلك في قصيدته هذه.

حاول الشاعر التعبير عن همومه ومشاكله المجتمعة، فقد واجه مواقف عديدة وهي: تخلي المحبوبة عنه، صراعه مع أقاربه وتخليهم عنه، وهو ما دفعه إلى التخلي عنهم واعتزالهم والانصراف إلى الصحراء واختيار مواجهة الذئب في الفيافي والفلوات.

كما صور البحتري نفسه بالأفعوان – ذكر الأفعى-، وأيضا صور نفسه بالأسد

---

[1] البحتري ، ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٢، ج١، ص٧٤٠.

ومن ثم صور نفسه بالسيف الحاد القاطع وهو كناية عن الشجاعة والإقدام والهيبة والرهبة.

وينتقل الشاعر لوصف ليلة من الليالي التي عاشها في الصحراء إذ كان يراقبه ذئب جائع في المقطع الثالث فيقول:

وليل كأن الصبـــح في أخرياته حــشاشة نصل ضم إفرنده غـمد

تسربلته والذئب وسنــان هاجـــع بعين ابن لـيل ما له بالكرى عـهد

أثير القطا الكدري عن جـــثمانـه وتألفني فيـه الـــثعالب والـــربد

وأطلس ملء العين يحـــمل زوره وأضلاعه من جانبـــيه شوى نهد[1]

في هذه الأبيات يحدد البحتري الزمن الذي خرج فيه إلى رحلته وهو أول بزوغ الشمس، حيث كان الضوء كالقطعة الصغيرة التي تظهر من غمد السيف، وفي هذا الوصف دليل على أن الخطر كان يحيط بالبحتري أثناء رحلته، وهو دليل أيضا على قوة البحتري وشجاعته في مواجهة الأخطار، وهي الصورة التي أراد إيصالها لبني الضحاك بالرغم من صلة القرابة التي تربطه بهم، لكن هذه العلاقة بعيدة عن صلة القرابة التي تمثل الأمان والقوة، أنها علاقة تتسم بالعداوة والخصومة.

وفي الشعر الجاهلي كان الذئب يشكل نوعا من الصراع مع الإنسان الجاهلي، والبحتري من الشعراء الذين برعوا في ذلك الوصف وتفننوا في نقل ما تموج به بيئتهم، فقد مثلت الطبيعة الجانب الأكثر أهمية في شعره، وهذا ليس غريبا على شاعر يعتبره البعض أحد أعظم الوصافين العرب، إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق[2].

وبعد أن حدد البحتري الزمان والمكان وهو الصحراء وفي هذه اللحظات التي كان الذئب هاجعا غير نائم، ذكر أن كثرة ترحاله وسفره في الصحراء أصبح يثير طيور القطا، كما أن الأفاعي الخبيثة تشعر به، فحركته وخروجه في هذا الوقت تألفه كل الحيوانات إذ تعودت على خروجه في هذا الوقت.

لقد تناول البحتري الزمان والمكان معا وهي الأبعاد الضرورية لتحديد الظاهرة الطبيعة فالجمع بين" الزمان والمكان في تصور واحد يطلق عليه اسم المكان – الزمان (Espace- temps) وهو ذو أربعة أبعاد، تؤلف متصلا مكانيا – زمانيا، يرمز إليه بأربعة متغيرات الطول والعرض والعمق والزمان"[3].

وقد برزت أهمية المكان بصورة كبيرة في شعر البحتري وهي التي بلورت فكره وثقافته ونظرته " ومن أبلغ آثاره على الكلمات سوى اختلاف معانيها وتنوع مدلولاتها من موضع إلى موضع ما يضفيه على الكلمة الواحدة من لون حسن أو لون قبيح من دون تأثير كبير في جوهر مدلولاتها"[4].

[1] البحتري ، ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٢، ج١، ص٧٤٠.

[2] صالح حسن اليظي ، البحتري بين نقاد عصره ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢، ص ٧٨.

[3] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي (عربي ، فرنسي ، إنجليزي ، لاتيني) بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤، ص ٤١٣

[4] عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مطبعة جامعة الخرطوم للنشر ، ط٤ ، ١٩٩١، ج٢ ، ص ٣١ – ٣٢

وعندما بزغت شمس الفجر، وفي وضح النهار ظهر للبحتري ذئبا لونه أسود مغبر، ويتصف هذا الذئب بالجثة الضخمة، والصدر والأطراف العظيمة، ومن هنا يبدأ البحتري بوصف المعركة التي كانت من أكثر المعارك ضراوة.

يلاحظ بأن المكان هو المحور في بنية السرد، بحيث لا يوجد قصة أو حكاية بدون مكان، فكل حدث يجب أن يكون له مكان محدد وزمان معين [١].

في البيت الأول من هذه الأبيات قدم البحتري كلمة (إفرنده) وهو المفعول به

الذي اتصل به ضمير يعود على الفاعل (غمد) وأراد الشاعر من هذا التقديم التعبير عن انفعالاته والتأكيد على شجاعته وإقدامه في القيام بهذه المغامرة.

فقد قدم الشاعر المفعول به وأخر الفاعل ليكشف حقيقة المعاناة التي يعيشها فقد ظلمه أقاربه، ولذلك يحاول أن يثبت حقيقة شجاعته وعدم خوفه من الخروج في هذا الوقت الذي يختلط به سواد الليل وظلمته وغبش الفجر وهو وقت الهدوء والسكينة.

استخدم البحتري الصورة الفنية فقد شبه الوقت الذي خرج فيه وهو وقت بزوغ الفجر وهو بداية ظهور بياض النهار مع انتهاء سواد الليل، ويقصد بذلك الليل المختلط بالنهار، فهو يشبه هذا الوقت بطرف النصل الذي يظهر من الغمد، وهو من الصور التي برع في وصفها البحتري وأبدع فيها.

كما استخدم الشاعر أسلوب التقديم أيضا في البيت الثالث فقد قدم المفعول به وهو الضمير المتصل في الفعل (تألفني) ومن ثم جاء بالفاعل وهو (الثعالب) وفي هذا التقديم إثارة للمتلقي وتحفيز له لمعرفة الشيء الذي يألفه الشاعر وتعود عليه في هذه الصحراء القاحلة وفي وقت متأخر يمزج فيه الليل بالصباح، وقد أبدع البحتري في هذا التقديم الذي يثير القارئ ويحفزه لمعرفة باقي الأحداث في القصيدة.

كما استمد الشاعر صورته هذه من الطبيعة، فقد مضى البحتري في رحلته المحفوفة بالمخاطر والحيوانات المفترسة التي تملأ الصحراء فهو بمشيته وخطواته يثير طيور القطا والأفاعي والثعالب، لكن هذه الحيوانات قد اعتادت عليه وألفته وهي صورة من أجمل الصور المستمدة من طبيعة البيئة الصحراوية.

استطاع البحتري من خلال استخدامه للفعل (تألف) سبغ الحياة الإنسانية على

الحيوانات، فقد تصرفت كتصرفات البشر بالاعتياد على الشاعر عندما يسافر ليلا وهي صورة نابضة بالحركة والحيوية تعكس قدرات البحتري الإبداعية.

كما استخدم الشاعر اللون (أطلس) وهو اللون الأسود المائل إلى الغبرة، ويدل هذا اللون على قوة الذئب ودلالة على شجاعة البحتري في مواجهته لهذا الذئب.

---

[١] ينظر : محمد بو عزة ، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٠، ص ٩٩

رسم أيضا البحتري في هذه القصيدة الصفات العامة للذئب الذي سيواجهه وهذه الصفات هي: الجسد الضخم، الصدر المندفع، الأطراف الكبيرة الضخمة.

فها هو يصف شراسة الذئب الذي واجهه إذ يقول:

لــه ذنب مثل الرشـــــاء يجره ومتن كمتن القوس أعـــــوج منأد

طواه الطوى حتى استمر مريره فما فيه إلّا العـــظم والروح والجلد

يقضقض عُصلا في أسرّتها الرّدى كقضـــقضة المقرور أرعده البرد[١]

ينتقل الشاعر للحديث عن مشهد مواجهة الذئب، وهي من المواجهات الشرسة التي درات بين الشاعر والذئب، ويوضح أوصاف هذا الذئب وهي: ذو ذنب طويل كالحبل الذي يجره خلفه، وتبدو على ظهره ملامح الاعوجاج الذي يشبه القوس لشدة انحنائه، ثم يصف الجوع المسيطر على الذئب فقد كان بطنه مطوي من شدة الجوع، ومع ذلك سيكون هناك مواجهة تتسم بالقوة والصلابة بين الشاعر والذئب. ولشدة جوع هذا الذئب كان يقارع أسنانه من الجوع كما يقارع المرتجف أسنانه من البرد ويرتعش.

في الأبيات السابقة كان اهتمام البحتري منصبا على الموسيقى الداخلية، فقد استخدم الإيقاع المتسارع عندما وصف ملامح الذئب المفترس، وابتعد عن الحركات الطويلة التي تساهم في عملية السرد البطيئة.

كما استخدم الشاعر الجناس الاشتقاقي في البيت الثاني بين الكلمتين (طواه، الطوى) فلفظة (طواه) فعل بينما لفظة (الطوى) مصدر، وكذلك وردد الجناس الاشتقاقي في البيت الثالث بين كلمتي (يقضقض) وهو فعل، وبين (قضقضة) وهي مصدر.

وقد أحدث جناس الاشتقاق في هذه الأبيات نوعا من الإيقاع المنسجم في التماثل الصوتي للحروف، وقد ساهم هذا الجناس في إثراء المعنى وتنوعه، وهو دليل على قدرة الشاعر الإبداعية التي تتمثل في قوته التعبيرية وقدرته على التأثير في المتلقي.

كما استخدم الشاعر أسلوب التقسيم في البيت الثالث عندما قال: إلا العظم والروح والجلد، وهذا الأسلوب من الأساليب الإبداعية التي تؤدي إلى إثارة ذهن المتلقي وتشويقه في إيجاد العلاقة بين أجزاء الكلام وإعادة تركيبه لتأويل الدلالة المتضمنة له، بحيث توصل المتلقي إلى نتيجة وهي رسم الملامح العامة للذئب والتي تدل على تشوقه للقتل والدماء وتبرز شراسته واستعداده للقتال.

تميزت أبيات البحتري في الجمع بين الأحرف المجهورة والأحرف المهموسة، فقد كانت الأحرف المجهورة هي (القاف، الضاد، الراء، الدال) لها النصيب الأكبر في الأبيات السابقة.

أيضا استخدم البحتري التشبيه في البيت الأخير إذ شبه الذئب واصطكاك أسنانه بالشخص الذي يعاني من البرد وترتعش أسنانه وهو كناية عن شدة الجوع التي ألمت بالذئب، وفي هذا البيت يحاول الشاعر لفت الانتباه إلى أنه سيواجه عدو شرس يعاني من الجوع الشديد وهو دليل على شجاعة البحتري وإقدامه وقدرته على مواجهة خصمه، ويربط ذلك بالمقدمة

---

[١] البحتري ، الديوان ، ج٢ ، ٧٤٣

الطللية التي يواجه فيها بشجاعة آلامه وأحزانه ومعاناته من فقدان محبوبته بعد زيارته إلى مكانها الذي أصبح مهجورا وتحول إلى أطلال وبقايا ذكرى عالقة في ذهن الشاعر.

يتابع البحتري وصف الصراع الذي دار بينه وبين الذئب فيقول:

عوى ثم أقعى وارتجزت فهـــجته فأقبل مـــثل البرق يتـبعه الرعد
فأوجزته خرقاء تحـــسب ريشها على كوكب ينـــقض والليل مسود
فما ازداد إلا جـــرأة وصـــرامـة وأيـــقنت أن الأمر منه هو الـجد
فخر وقد أوردتـــه منـهل الردى على ظمأ لو أنه عـــذب الورد[1]

يواصل البحتري وصف مشهد المواجهة بينه وبين الذئب إذ يقول عندما شاهد الذئب البحتري بدأ بالعواء إذ جلس بالاعتماد على الإليتين، ابقى الأماميتين منتصبتين فقام البحتري بزجره، في حين كانت ردة فعل الذئب بالانطلاق نحوه بسرعة البرق، فما كان من الشاعر إلا أن قام برميه بسهام مخترقة نافذة تشبه الريح الهوجاء، وقد واجه الذئب هذه السهام بمزيد من الجرأة والتصميم والعزيمة على المواجهة، في الوقت الذي كان البحتري يظن ان الذئب سوف يتراجع ويعلن استسلامه، لكن الشاعر أدرك جدية الذئب في القضاء عليه والتخلص منه، فقد أدى اندفاع الذئب نحو الشاعر لقتله وهو يدرك أن الموت ينتظره، فقد عاش الذئب حالة من الحيرة والقلق فقد وقع بين خيارين وهما الموت جوعا أو القتل بالسيف، ولشدة ظمأه توهم الذئب بأن الموت سوف يطفأ هذا الظمأ .

وفي الأبيات السابقة حاول الشاعر توضيح صورة الذئب المكابر الذي أوهم نفسه بإطفاء ظمأه بالقتل بالسيف، كما وضح مشاعر البهجة والفرح التي ألمت به بعد انتصاره الساحق على هذا الذئب المفترس الذي كان يجمع بين الشراسة والقوة والتوحش .

ثالثا: صورة الذئب بين البحتري والمرقش الأكبر وعلاقتها بالأطلال:-

لقد حفل شعر البحتري بالحديث عن الحيوانات المفترسة، التي تمثلت بشتى فنون الشعر الجاهلي بسبب طبيعة الحياة في تلك البيئة الصحراوية فقد تفنن الشعراء في وصف الوحوش من ذئاب وضباع وغيرها بأوصاف متنوعة وهو أمر طبيعي أن يتحدثوا عن هذه الحيوانات؛ لأنهم ألفوها وارتبطوا بها ارتباطا شديدا بحيث لا تخلو أشعارهم من وصفها، ومن ذلك قول المرقش الأكبر في مقدمته الطللية التي صور فيها زيارة الذئب بقوله:

أمن آل أسماء الطلول الـدّوارس يخطط فيها الـطير، قـــفر بسابس
ذكرت بـها أسماء لو أن ولـيهـا قـــريب ولكن حبســـتني الحوابس
ومنـزل ضـــنك لا أريـد مبيـــته كأني به مـن شـــدة الروع آنـــس
ولما أضـــأنا النار عـند شـوائنا عـرانا عليها أطـــلس اللون بائـس
نبذت إلـــيه حزة من شـــوائـــنا حياء ، وما فحشي على من أجـالس

---
[1] البحتري ، ديوان البحتري ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٧٤٤.

فاض بهــا جذلان ينـفض رأســـه كما آب بالنــــهب الكمي المحالس[١]

والمرقش الأكبر شـــاعر جاهــلي فحل، وقد اشتهر بأنه من عشـاق العـرب و فرسانهم الشجعان، فقد عرف ببأسه وشجاعته وإقدامه في حروبه مع بني تغلب[٢]. ولقد افتتح قصيدته بالوقوف على أطلال محبوبته أسماء التي أحبها كثيرا وظهر ذلك في أغلب قصائده، وقد غادرت المحبوبة المكان، وتغير حال الشاعر وأحس بالوحشة وقسوة العيش، حتى أنه غادر تلك الأطلال تاركا منزله الذي أحس بأن الحياة فيه لا تطاق فهو يشبه القبر لشدة إحساسه بضيق المكان وقد عكست هذه الأبيات نفسية الشاعر ومشاعره نحو الأطلال نتيجة هجران المحبوبة لهذا المكان، فظهر ذلك واضحا في جميع مقاطع القصيدة.

أما صورة الذئب فقد كانت معاكسة لصورة الذئب عند البحتري، فالمرقش الأكبر هجر المكان وانطلق إلى الصحراء فقد نزل عن راحلته وأشعل النار ليبدأ بالشواء، ويظهر ذئب لونه أغبر يميل إلى السواد، وهو ذئب تظهر عليه علامات الحزن والبؤس، وقد أحس الشاعر بحالة هذا الذئب فيستضيفه ويقطع له حزة من شوائه ويرميها إليه ويمسك الذئب بهذه القطعة بشدة ويعود سعيدا بها ويهز رأسه من شدة الحبور، وتعكس هذه الصورة رغبة الشاعر الشديدة في قصد ديار المحبوبة أسماء وهو يأمل باستعادتها والعودة بها فرحا، وقد استعار الشاعر صورة الذئب الذي فرح بقطعة الحزة و أخذها وهو يشعر بالفرح والحبور.

كان الاختلاف أيضا في طريقة تعامل كل من البحتري والمرقش الأكبر مع الذئب، فالبحتري في قصيدته أراد التعبير عن قوته وشراسته وجسد دور المتوحش الذي يبتعد عن إنسانيته فقد واجه عواء، وانقض عليه الذئب انقضاضا سريعا ،بينما كانت ردة فعل الشاعر بأن سدد عليه سهاما فأصاب الذئب في قلبه، وجمع الحصى وقام بشواء الذئب وأكل من لحمه تعبيرا عن انتصاره على هذا الحيوان المفترس، أما المرقش الأكبر فقد أظهر إنسانيته عندما رأى الذئب في حالة سيئة وحزينة، فرمى عليه قطعة من اللحم التي فرح بها وهز رأسه شاكرا معبرا عن سروره، وهنا أراد الشاعر أن يصل إلى مقصده وهو الوصول إلى المحبوبة والتعبير عن فرحته وشكره بالوصول إليها.

يكمن التشابه بين البحتري والمرقش الأكبر في عدة أمور وهي:

إن البحتري بدأ قصيدته في ذكر أطلال محبوبته علوة والوقوف عليها، وكذلك المرقش الأكبر ذكر ديار محبوبته أسماء لكنه لم يستطع الوقوف طويلا لشدة شوقه وضيقه من غياب المحبوبة، ومن الأمور المتشابهة بين الشاعرين البحتري والمرقش الأكبر هو

[١] أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، المفضليات ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٦٤، ص ٢٢٦.

[٢] ينظر : محمد مهدي الجواهري ، الجمهرة ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩٠، ج ١، ص ١٣٦.

التمهيد لمشهد الذئب، فالبحتري مهد لمشهد الذئب، وقد خص الذئب بأبيات شعرية وكان وصفه للذئب معادلا موضوعيا للمحبوبة التي هجرته، كذلك المرقش الأكبر الذي بدأ قصيدته بالحديث عن ديار المحبوبة أسماء وقام برحلة إلى ديار أسماء وكانت رحلة إلى الموت، لكن الشاعر لا يهتم بذلك ويسير في رحلته مطمئنا قاصدا ديار المحبوبة.

ومن ناحية اللغة والأسلوب استطاع البحتري والمرقش الأكبر نقل أفكارهما

باستخدام لغة مكثفة وأسلوب قصصي رائع، وكان استخدامهما لقصة الذئب استخداما موفقا، وكلا الشاعرين شخص الذئب، فالبحتري استعار الذئب للحديث عن قوته وجعله إنسانا يحدث نفسه بالهجوم على خصمه، أما المرقش قدم له الحزة لحزنه على حالته السيئة، فالبحتري عكس صفاته وهي الشراسة والوحشية، أما المرقش فقد عكس إنسانيته وكرمه وعدم بخله في إكرام جليسه.

رابعا: ملامح التجديد في المقدمة الطللية لدى البحتري:-

ازدهرت الحياة الأدبية في العصر العباسي وتطورت بشكل كبير، فسار الشعر نتيجة لذلك في تيار جديد، فقد تطور الشعر العربي في ذلك العصر، وتنوعت موضوعاته وأغراضه وارتقت أساليبه ومن أهم الأغراض التي تطورت وأصابها التجديد غرض الوصف، الذي امتد ليشمل جميع مناظر الطبيعة ومظاهر الحضارة الحديثة، ويصف عمر الفروخ ذلك بقوله: " اتسع الوصف في هذا العصر في الطبيعة، في الشعر والنثر، فكثر وصف الرياض، وما فيها من ماء وأشجار وأزهار وأثمار، وبما يتقلب فيها من الرياح والأمطار والبرد والثلج، كما كثر وصف الحيوان والأطيار والوحوش، ولقد رأينا غرضا في وصف الطبيعة يصبح في هذا العصر فنا قائما بذاته هو فن الزهريات " [١].

والبحتري شاعر لديه قدرة إبداعية على التجديد وتداول الصور، فقد كانت الطبيعة الحية مصدر إلهام له لذلك استطاع أن يضعنا أمام مشهد طبيعي يتسم بالدقة في الوصف والتفاصيل.

يعلق الدكتور عناد إسماعيل على قصيدة البحتري ومشهد الذئب فيقول: "لوحة البحتري تكشف عن بعض ملامح التغيير الاجتماعي والحضاري الذي طرأ على مفهوم الفروسية العربية، فتحول فيها الشاعر من كونه فارسا ذا أخلاق سامية موروثة إلى كونه مقاتلا ذا بأس شديد في مواجهة عدوه وخصمه المتمثل هنا في صورة الذئب "[٢].

استخدم البحتري في البيت الأول أحرف المد في كلمات (عوى، أقعى) وهي أحرف أحدثت إيقاعا متسارعا فالبحتري نقل لنا صورة الذئب في سرعة حركته، فقد استخدم الألفاظ القصيرة الموزونة التي يمتزج فيها الحركة مع الصوت، فهذا البيت يضج بالحركة والصوت والحيوية، إذ كشف البحتري الفعل

---

[١] عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، الأعصر العباسية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٤، ص ٤١٠.

[٢] عناد غزوان إسماعيل ، قراءة عصرية في أدب الذئب عند العرب ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ٩٧.

وردة الفعل للذئب عندما واجه الشاعر بكل شراسة وقوة، إذ صور سرعة الذئب وشدة انقضاضه، كما وضح لنا ردة الفعل أيضا وهي الاستعداد للمواجهة، كما استخدم البحتري التشبيه إذ صور اندفاع الذئب نحوه كالبرق الذي يظهر في السماء قبل صوت الرعد، فالذئب هاجم البحتري بسرعة فاقت خروج صوته، وهذا التشبيه جاء بهذه الصورة كناية عن شراسة الذئب وقوته التي كان يجسدها بالاندفاع وعدم الاستكانة أو التراجع.

وقد جاء هذا البيت نابضا بالحركة، فقد استخدم البحتري العديد من الأفعال الحركية وهي: (عوى، أقعى، هجته، أقبل) وهذا يدفع المتلقي لمتابعة الأحداث وإثارة التشويق في ذهنه لمعرفة ما هي نهاية هذا الذئب الشرس الذي وقع في مواجهة مع الشاعر الذي لا يبالي بقوة هذا الذئب واندفاعه فهو يحمل من الإقدام والشجاعة أضعاف ما يحمله هذا الذئب.

كان لحروف العطف دورا كبيرا في تنظيم وترتيب الأحداث كما كان لها أهمية بالغة في تجسيد الحركة وبعث مشاهد النشاط والحيوية.

كما استخدم البحتري أسلوب التقديم في البيت السابق، فقد قدم المفعول به وهو الضمير المتصل (الهاء) بالفعل (يتبع) على الفاعل (الرعد).

أما البيت الثاني فقد شبه الشاعر السهام التي سددها نحو الذئب بالرياح الخرقاء القوية وهو كناية عن قوة الشاعر وعزيمته وإقدامه وشجاعته.

وفي البيت الثالث استخدم الشاعر أسلوب القصر لإفادة التوكيد بقوله: فما ازداد إلا جرأة وصرامة، فقد قصر البحتري صفة الزيادة على الجرأة والصرامة.

أضفى الشاعر على الذئب بعض الصفات الإنسانية كالجرأة والصرامة والجدية، إذ أسبغ هذه الصفات على الحيوان وهو من الأساليب الجمالية اللافتة في هذه القصيدة.

استخدم الشاعر في البيت الرابع جناس الاشتقاق وذلك بين الكلمتين: (أورد) وهي فعل، وكلمة (المورد) وهي مصدر، فقد مثل هذا النوع من الجناس ملمحا أسلوبيا يؤدي المعنى بعبارة موجزة ويمنح المتلقي أفاقا رحبة في تخيل دلالة العبارة.

كما استخدم الشاعر التشبيه بالمقلوب في البيت الرابع إذ شبه الردى بالمنهل فقد ظهرت القوة والغزارة في كلمة (الردى) أكثر من كلمة (المنهل) وذلك أن البحتري يرى بأن وجه الشبه أقوى في المشبه، منه في المشبه به.

وفي البيت الأخير تناص البحتري مع البيت الشعري للشاعر عنترة بن شداد وهو:

فأجبتها : إن المــــنية مـــــــنهل لا بد أن أُسقى بـــكأس المــنهل[1]

فقد عكس التناص ثقافة البحتري وتجربته الشعرية الغنية التي حققت الاستجابة الانفعالية عند المتلقي، وجعلته قادرا على تنمية التصورات وتطويرها من صورة إلى أخرى.

---

[1] عنترة بن شداد ، الديوان ، شرح : الخطيب التبريزي ، تقديم وتهميش : مجيد طراد ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣، ص ١٢٨.

يتابع البحتري وصفه للذئب بقوله:

وقمت فجمعت الحصى، واشتويته عليه، وللرمـــــضاء من تحته وقد

ونلت خـــــسيسا منه ثم تركـــته وأقلعت عـــــنه وهو منعـــفر فرد[1]

يتحدث الشاعر عن الموقف الذي صدر منه فقد قام بجمع الحصى وشواء جزء من الذئب، فقد أقدم الشاعر على الأكل من الذئب، فقد حدد المكان الذي أشفى غليله وهو ينظر إلى الجمر واللهب المحيط بجسد الذئب، وهو دلالة على فرح البحتري وبهجته بالنصر على هذا الذئب، وهو تصرف يعكس علاقة البحتري بأقاربه.

أظهر البحتري قسوة البيئة والحياة بأكله جزءا من لحم الذئب، وكأنه أراد أن يظهر قوته وبطشه لأعدائه من أقاربه بني الضحاك، وهو مستعد للقتال والمواجهة، إذ يوجد بداخله ذئب لا يرحم، فهو يحاول تعويض نفسه بهذه القوة والفخر عما لاقاه من أقاربه من عداوة وكراهية.

وقد اكتفى الشاعر بأكل القليل من لحم الذئب والانصراف ،ويلاحظ ارتباط الأفعال ببعضها البعض فقد كانت الأفعال متتالية وهي: (قمت، فجمعت، اشتويت، نلت، تركت، أقلعت) وهي الأفعال التي ساهمت في تسلسل الأحداث وتطورها.

لم يكتفِ البحتري باستخدام الصورة والتعبير عن تجربته، وتجريدها وصبها في قالب حسي، بل تجاوزها إلى إثارة ذهن المتلقي وجعله يعيش معه هذه المراحل الصعبة التي عاشها وتجرعها.

تميز مشهد الذئب في قصيدة البحتري باللغة الشعرية الوصفية العالية، وقد زخر المشهد بألوان البلاغة المتنوعة، كما جسدت لنا اللغة الحركية المشهد وكأنه مشهد نراه أمام شاشة السينما، وهو المشهد الذي دفعنا إلى الاقتناع بشجاعة البحتري وجسارته، على الرغم من إنكار الأدب ذلك [2].

فالبحتري نقل للمتلقي صورة الصحراء التي صرع فيها الذئب، ثم عملية شوائه، ثم تناول جزءا من لحمه، ثم تركه وانصرف عنه على الرغم من جوعه الشديد، فالخلاصة التي أراد نقلها للمتلقي هي لا يمكن الفرار أو الهروب من مواجهة الصراع في الحياة قبل مجيء الموت[3].

يلاحظ في هذه الأبيات براعة الوصف عند البحتري وحسن الديباجة وجمال الإيقاع كما تميز بدقة الوصف الحسي لمظاهر الطبيعة الصامتة والحية فقد تميز الشاعر بقدرته الإبداعية في وصفه واختياره لألفاظه وحسن تصويره ويعد البحتري إماما في الوصف لا سيما وصف الذئب والأسد لكن وصفه للذئب كان " أكثر دقة وأنشط حركة وأعمق وجدانية"[4].

---

[1] البحتري ، ديوان البحتري ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٧٤٤.

[2] ينظر : علي بن الحسين المسعودي ، كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، السفر الثالث ، اختيار وتقديم قاسم وهب ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٨٩، ص ١٨٧.

[3] عبده بدوي ، دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١٥٢.

[4] إيليا سليم حاوي ، فن الوصف في الشعر العربي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت ، ص ١٦٣.

وقد قيل في البحتري: "وصاف ماهر وهو اميل إلى الوصف الحسي الذي يتناول المحسوسات فيبدع في رسمها " [١].

وقد أجمع النقاد على أن رشاقة الوصف هي المزية الفنية عند البحتري[٢]، فلم يكن وصف البحتري وصفا عابرا، بل كان يضرب في دقته أروع الأمثلة في ملاحقة الأجزاء المكونة للموصوف لنرى الذوق الرفيع والعظمة التي تقف وراء كل ذلك، وهذا يجسد مقولة مرتاض: " كل شاعر واصف ، وكل واصف شاعر"[٣].

فقد تفنن البحتري في وصف مشهد الذئب بأسلوب قصصي يسبح في الخيال ويطلق له العنان، فيقف المتلقي عند أسلوبه الإيحائي المبني على لغة عميقة الغور تجعل المتلقي يحاول تفكيك أسرارها وتحليلها وتوضيح معانيها الخفية، وعلى الرغم من سهولة ألفاظها الظاهرة، لكنها تحمل في طياتها بنية دلالية للتراكيب تمتلئ بالمعاني العميقة التي يدركها المتلقي في البنية العميقة للغة الشعرية.

الخاتمة

تميزت قصيدة البحتري "سلام عليكم" بعدة خصائص منها:

- قدرة البحتري الإبداعية على التجديد وتداول الصور فقد كانت الطبيعة الحية مصدر إلهام الشاعر الذي استطاع أن يضعنا أمام مشهد طبيعي يتسم بالدقة في الوصف والتفاصيل يعبر فيه عن معاناته التي تتجسد في اندثار المكان والزمان، وتنتهي بإرادته إذا ابتعد عن مكان الآلام وتذكر زمانها.
- كان لامتزاج الطبيعة في حياة الشاعر دور واضح، فقد ساهمت الطبيعة الصامتة بشكل عام والطبيعة الحية بشكل خاص في تفاعل الشاعر معها تفاعلا عميقا كان له أثر كبير في أسر قلبه، وقد اتضح ذلك من خلال المقدمة الطللية وامتد في القصيدة.
- من الناحية الصوتية عبرت القافية عن وحدة دلالية خدمت المعنى العام وساهمت في كشف دلالاته والتأكيد على أن الأطلال هواجس مؤلمة تؤثر على فكر الشاعر وأعصابه.
- لعب الجناس دورا كبيرا في تحقيق الأثر الإيقاعي وتوضيح العمق الدلالي لكل كلمتين متجانستين لفظيا.
- استطاع البحتري الاستفادة من أساليب التصوير كالتشبيه والاستعارة والكناية للتعبير عن تجربته الشعرية والقدرة على التأثير في المتلقي وإقناعه أن الأطلال ألم حارق في الوجدان الإنساني.
- ارتبطت قصيدة البحتري بالأطلال (آثار الديار) ارتباطاً وثيقاً. حيث تعد الدمن، الأثار، الديار من أساسيات الفلسفة الشِّعرية في ذلك العصر؛ لأنها

---

[١] علي كامل دريب ، لغة الشعر عند البحتري ، رسالة ماجستير ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، ص ٤٩.
[٢] ينظر : أنيس المقدسي ، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٧ ، ١٩٨٩، ص ٢٥٠.
[٣] عبد الملك مرتاض ، الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) ، الجزائر ، ٢٠٠٥، ص ٦١.

ترمز إلى آثار الأحبة اللذين غابوا بلا عودة وتركوا الذكريات المؤلمة.

المصادر

- البحتري، ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢م.

المراجع

- الآمدي، الموازنة بين الطائيين، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، ذخائر العرب، ١٩٦٥م.
- امرؤ القيس، الديوان، طبعه وصححه: الاستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٤م.
- أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧، ١٩٨٩م.
- إيليا سليم حاوي، فن الوصف في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أخبار البحتري ، تحقيق : صالح الأشتر، دار الفكر، دمشق، ط٢ ، ١٩٦٤م.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (عربي، فرنسي، إنجليزي، لاتيني) بيروت لبنان، ١٩٩٤م.
- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
- خلف الوقيان، شعر البحتري (دراسة فنية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٩٩٨م.
- زكريا عبد المجيد النوتي، الذئب في الأدب القديم، دار ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وقدم له: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- شوقي ضيف، (العصر العباسي الثاني)، دار المعارف، القاهرة ، ط١٠، ١٩٩٦م.
- صالح حسن اليظي، البحتري بين نقاد عصره، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- صالح أبو إصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨حتى
- عام ١٩٧٥، (دراسة نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٤م.

– عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة جامعة الخرطوم للنشر، ط٤، ١٩٩١م .
– عبد الله رضوان، البنى الشعرية دراسات تطبيقية في الشعر العربي، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م.
– عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)، الجزائر، ٢٠٠٥م.
– عبده بدوي، دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) ، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م .
– عبيد الأبرص، الديوان، تحقيق: حسين نصار، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٧م.
– علي بن الحسين المسعودي، كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، السفر الثالث، اختيار وتقديم قاسم وهب، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٩م .
– علي كامل دريب، لغة الشعر عند البحتري، رسالة ماجستير ، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، (الأعصر العباسية) ، دار العلم للملايين
بيروت، لبنان ، ط٤، ١٩٧٤م .
– عناد غزوان إسماعيل، قراءة عصرية في أدب الذئب عند العرب، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الأول، بغداد، ١٩٧٩م.
– عنترة بن شداد، الديوان، شرح: الخطيب التبريزي، تقديم وتهميش: مجيد طراد، دار الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
– أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار المعارف، ط٢، ١٩٥١م.
– محمد بو عزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
– محمد مهدي الجواهري، الجمهرة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٠م .
– النابغة الذبياني، الديوان، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
– هاشم صالح مناع ، أعلام الفكر العربي، البحتري حياته وشعره، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، د.ت.

المواقع الإلكترونية

– يوسف الحشكي، الوصف في شعر البحتري بين الواقع والخيال، موقع محمد العريفي، منتدى واحة الأدب،
– http://www.3refe.com/vb/showthread.php?t=104064 , 30-10-2010.

Description of the ruins in the Abbasid poetry ;poem of "Salamu Alaykum" as an example (Critical study)

Dr. Hamda Mesharik Al- Ruwaili
Assistant Professor at the Department of Arabic Language,NBU Univ, Saudia.

Abstract. he was one of the most famous poets of the description, especially in describing the nature that he loved and tried to employ for his various poetic purposes, so I chose this study On the poem"Peace be upon y " Which is part of this nature, with the aim of shedding light on a text of texts that included a scene from the scenes of the struggle of the Bahtri with the wolf, as this study attempts to identify the technical features in the poetic text and how to deal with it through critical study and disclosure and detect the depth of linguistic connotations and The depths of this poetic text, which carries profound connotations and meanings.
key words: Peace be upon you- Introduction to the variant - Features of regeneration - Description of nature.